

غزة هي أعظم اختبار واجهته الليبرالية منذ عام 1945

الاثنين 6 مايو 2024 11:07 م

في الشهر الماضي، وصف منسق السياسة الخارجية بالاتحاد الأوروبي جوزيب بوريل غزة بأنها "مقبرة لعشرات الآلاف من الأشخاص وأيضاً مقبرة للعديد من أهم مبادئ القانون الإنساني".

وقال فيصل قطي في مقال رأي نشره موقع ميدل إيست آي: "وربما يكون الواقع أسوأ من ذلك وأخشى أن تصبح مقبرة الليبرالية نفسها".

قبل ثلاثة عقود، كانت الليبرالية هي العربة الرائدة في موكب المشروع الديمقراطي الليبرالي وكانت الديمقراطيات الجديدة تنشأ في أوروبا؛ فقد انهار الاتحاد السوفييتي، وكانت روسيا تمر بمرحلة انتقالية وسقط جدار برلين وكان نظام الفصل العنصري في جنوب أفريقيا ينهار وحتى الصين أظهرت علامات التغيير

وبدت الديمقراطية الليبرالية وكأنها لا تقهر، سواء من الناحية العملية أو النظرية ويبدو أنه لم تكن هناك منافسة حقيقية، حيث برزت كشكل من أشكال الحكم المنتصر والمبدئي وأضاف قطي: "أسأل أي طالب فنون ليبرالية على دراية جيدة وسيقرأ أن الليبرالية هي أيديولوجية سياسية وفلسفية تتمحور حول مبادئ الحرية الفردية والمساواة والحكومة المحدودة وسيشير إلى أنها تؤكد على حماية الحقوق والحريات الفردية، بما في ذلك حرية التعبير والدين والتجمع، فضلا عن سيادة القانون والحكم الديمقراطي".

وبينما تدعو الليبرالية إلى اقتصاد قائم على السوق مع حقوق الملكية الخاصة والتجارة الحرة والحد الأدنى من التنظيم الحكومي، فإنها تعزز أيضاً برامج الرعاية الاجتماعية للتخفيف من العيوب وضمان تكافؤ الفرص لجميع المواطنين بالإضافة إلى ذلك، تدعم الليبرالية فكرة التعددية والتسامح والتنوع، بهدف إنشاء مجتمعات يمكن للأفراد فيها تحقيق مصالحهم الخاصة والعيش وفقاً لمعتقداتهم الخاصة دون تدخل غير مبرر من الدولة

وتابع قطي: "جوهر الليبرالية يكمن في التزامها بسيادة القانون وحقوق الإنسان". يبدو الأمر مذهلاً، فما هي المشكلة، ربما تتساءل؟

اهتزت الليبرالية في جوهرها

أولئك الذين راقبوا "الإبادة الجماعية المعقولة" دون عدسة دعائية على مدى الأشهر الستة الماضية، كان لديهم مقاعد في الصف الأمامي للتآكل المنهجي للقيم والمثل الليبرالية لقد كشفت غزة عن النفاق الغربي والمعايير المزدوجة، كما هزت الليبرالية حتى النخاع يتعرض الالتزام المحلي والدولي بسيادة القانون وحقوق الإنسان والنظام القائم على القواعد للتقويض من أقوى جماعات الضغط في العالم

لقد اختطفت جماعات الضغط المؤيدة لإسرائيل معظم الديمقراطيات الليبرالية الغربية أصبح العالم كله الآن مطلعاً على الأعمال الوقحة التي يمارسها الساسة الغربيون، والتي تم توثيقها سابقاً في كتاب عضو الكونجرس بول فيندلي عام 1985 بعنوان "يجرؤون على التحدث علناً"، والتي تم تعزيزها في كتاب عام 2007 بعنوان "اللوبي الإسرائيلي والسياسة الخارجية الأمريكية"، من تأليف العالمين السياسيين جون ميرشايمر وستيفن والت

وكما كتب أحد المعلقين المعجولين: "يعتقد الناس أن غزة محتلة، ولكن في الواقع، غزة حرة ولكن العالم كله محتل". النخب والقادة الليبراليون الذين انضموا إلى الملايين لدعم حرية التعبير وأعلنوا "أنا شارلي" تضامناً مع الصحيفة الفرنسية الساخرة شارلي إيبدو بعد أن قتل مسلحون 12 شخصاً في مكاتبتها في باريس عام 2015 لمحاولة إغلاقها، يدعون الآن إلى قمع حرية التعبير بأغلبية 377 صوتاً مقابل 44 صوتاً واحداً، أصدر مجلس النواب الأمريكي قراراً مفاده أن "الشعار، 'من النهر إلى البحر، فلسطين ستحرر' هو معاد للسامية ويجب إدانة استخدامه". وبطبيعة الحال، فإن البيان ليس تهديداً أو إدانة إذا استبدلت "فلسطين" بـ"إسرائيل"، كما ترى يفعل ذلك العديد من أنصار إسرائيل

قامت جامعة جنوب كاليفورنيا، في خطوة غير مسبوقة، بمنع الطالبة المسلمة المتفوقة، أسنا تبسم، التي درست دراسات الإبادة الجماعية، من إلقاء خطابها بسبب تهديدات مزعومة من الجماعات المؤيدة لإسرائيل وأشاروا إلى "مخاوف أمنية" غير محددة اعتقدت أن الفكرة هي عدم الاستسلام مطلقاً لما يبدو واضحاً أنه مطالب "إرهابية".

ومما زاد الطين بلة، بسبب التذاعيات، في خطوة أخرى غير مسبوقة، ألغت الجامعة بعد ذلك جميع المتحدثين الآخرين وعروض الدكتوراه الفخرية أثناء الدعوة و

قد تم اعتقال المئات من الطلاب وأعضاء هيئة التدريس في جامعات كولومبيا وبييل ونيويورك سلمياً (على حد تعبير رئيس الشرطة) احتجاجاً على عمليات القتل التي ترتكبها إسرائيل وتم اعتقال 200 متظاهر آخر معظمهم من اليهود أمام مقر إقامة زعيم الأغلبية في مجلس الشيوخ تشاك شومر في بروكلين، حيث تجمعوا للاحتفال بعيد الفصح، وهي طقوس تمثل الليلة الثانية من عطلة عيد الفصح التي يحتفل بها اليهود في جميع أنحاء العالم كمهرجان للحرية لا يمكن رؤية أي تعبئة لحرية التعبير من قبل النخب الليبرالية في أي مكان وأشار قطي إلى أن أولئك الذين دافعوا عن حرية التعبير أصبحوا الآن يحظرون الكوفية لأنها تجعل بعض الناس غير مرتاحين في الأسبوع الماضي، حظر المجلس التشريعي في أونتاريو غطاء الرأس، مما اضطر إلى عقد اجتماع مقرر بين المشرعين والمتظاهرين المؤيدين للفلسطينيين خارج المباني التشريعية لأن النشطاء ارتدوا كوفياتهم

وبطبيعة الحال، فإن العلامات العسكرية الإسرائيلية والأعلام الإسرائيلية والرموز السياسية الأخرى ليست سياسية بنفس الطريقة

أهداف غير ليبرالية

ولا يختلف الوضع في العديد من الدول الأوروبية

من كان يعتقد أن الليبرالية كانت هشّة للغاية ومرنة من قبل أولئك الذين يسعون إلى تقويضها لتحقيق أهدافهم غير الليبرالية، أي تعزيز التطهير العرقي

وفي أعقاب عمليات القتل الجماعي التي شهدتها الحرب العالمية الثانية والمحركة، قام النظام العالمي الليبرالي الجديد بسن معاهدات حقوقية والقوانين الإنسانية لضمان عدم تكرار هذه المذابح والانتهاكات "مرة أخرى".

بعد نشوء أهوال الحرب العالمية الثانية، شهدنا إنشاء الأمم المتحدة وصياغة الوثيقة الدولية لحقوق الإنسان التي من شأنها أن تلزم "كل دولة بالاعتراف بالحق المتساوي لكل فرد على أراضيها في الحياة والحرية والكرامة والملكية والحرية الدينية واستخدام لغته الخاصة". ويتألف مشروع القانون من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، والعهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية، والعهد الدولي الخاص بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية [1]

وشهدنا أيضاً صدور اتفاقيات جنيف لعام 1949، التي سعت إلى تحسين الحماية القانونية لغير المقاتلين، والعاملين في المجال الطبي، والمرافق والمعدات الطبية، والمدنيين الجرحى والمرضى [2]

وعلى الرغم من هذا التقدم الذي يدعيه الليبراليون، فإننا نشهد اليوم جرائم حرب وجرائم ضد الإنسانية و"إبادة جماعية معقولة"، وفقاً لمحكمة العدل الدولية، يتم بثها مباشرة على أجهزتنا [3]

إذا كانت الليبرالية غير قادرة على تقديم شكل أخلاقي ومعنوي للحكم، فما الفائدة إذن؟ ما فائدة التصريحات والمعاهدات الفخمة؟ في خضم هذا الهجوم غير المسبوق على السكان المدنيين المحاصرين من قبل الاستعمار الغربي وحليفه، إذا لم تظهر الليبرالية أي إرادة أو قدرة أو رغبة في حماية الحياة المدنية والأمن الإقليمي والمصالح الوطنية للدولة والنظام العالمي، فإن مهمتها -تحديد مطالبات المبدأ وانهاية الكفاءة [4]

ادعى المثقفون الليبراليون منذ فترة طويلة بالأرضية الأخلاقية العالية من خلال الدفاع عن العدالة سواء كان ذلك لصالح أو ضد المصالح الغربية [5] لماذا يختلف الوضع الإسرائيلي؟ عندما يصبح الولاء الأعمى هو الاعتبار الوحيد أو الأساسي، فما الذي يجعل الليبرالية مختلفة عن القبلية؟

عندما يصبح من الممكن التضحية بالأمن والسلامة العالميين على مذبح الصداقة والتشابه، فماذا يصبح إذن ادعاء الغرب بالسلطة باعتباره الوصي السياسي والعسكري لنظام دولي قائم على القواعد؟

يمكن الخلط بين القوة والهيمنة على أنها حق، ولكن دعونا لا ننسى أن الأقليات المنشقة والمضطهدين والمستعمرين قد يستنتجون أن خيارهم الوحيد هو المقاومة بأي وسيلة ضرورية، وأن الثورة هي دائماً احتمالية أعلى [6]

وحتى على المستوى المحلي، أثبت التاريخ أن المجتمعات التي تجمع بين الاستجابة لإرادة شعوبها وتوفير الحماية القوية للأفراد والأقليات، هي في أفضل وضع يسمح لها بتحقيق توازن مرن ومستدام بين هذه القوى المتنافسة [7]

وختم قطي: "لا يسعنا إلا أن نأمل وندعو أن يكون هذا نوعاً من الخلل، وأن تستيقظ النخب والمثقفون الليبراليون من سباتهم... لقد فات الأوان تقريباً، ولكن قد يكون هناك بصيص من الأمل".

وتابع: "كيفية استجابة النخب الليبرالية لتحدي غزة وإنقاذ ما تبقى من مصداقيتها سيملي إرث الليبرالية".

<https://www.middleeasteye.net/opinion/gaza-greatest-test-liberalism-since-war-failing>